العدد المئتان، أبريل ٢٠١٥

**محمد حسنين هيكل فى حوار خاص:**

- دور مصر الدولى مرهون بقاعدة داخلية قوية
- كيف خرجت قضايا العرب من أيدى أصحابها ؟

# السياسة الدولية 50 عاما

**التحولات العالمية.. وسياسة مصر الخارجية**
د. بطرس بطرس غالى

**انقلاب فى آليات التغيير فى العالم؟**
د. وحيد عبد المجيد

- صعود مصر فى السياسة الدولية — حلمى شعراوى
- معاناة المسيحيين العرب ومستقبلهم — د. سمير مرقس
- تراجع أسعار النفط ونتائجه — وليد خدورى
- أزمة الديمقراطية عالميا وداخليا — د. عمرو حمزاوى

## ١٩٦٥ - ٢٠١٥ .. ماذا تغير فى العالم؟ (ملف العدد)

- الخريطة المعرفية للتغير العالمى الشامل — السيد يسين
- الفاعلون الجدد فى السياسة العالمية — د. مصطفى كامل السيد
- تحولات السياسة الأمريكية وأثرها فى النظام العالمى — د. عبد المنعم المشاط
- التكتلات الاقتصادية .. "بريكس" نموذجا — د. محمد عبد الشفيع عيسى
- الفضاء الإلكترونى وأثره فى العلاقات الدولية — د. عادل عبد الصادق

٢٠٠

**ملحق "اتجاهات نظرية"**
نظام إقليمى متغير
د. خالد حنفى (محرر)

**ملحق "تحولات استراتيجية"**
عالم جديد ؟
مالك عونى (محرر)

Al Ahram Newspaper
02315
6 221121 001699

# السياسة الدولية

## المحتويات

● **الافتتاحية:**


٦ عصر التحولات الكبرى فى العالم ........ **د. بطرس بطرس غالى**

٨ نحو تفسير جديد لآليات التغيير العالمى ........ **د. وحيد عبدالمجيد**


● **٢٠٠ عدد × ٥٠ عاما:**


١٨ حوار خاص مع الأستاذ محمد حسنين هيكل ........ **هيئة التحرير**

٢٦ مقابلة مع د. أسامة الغزالى حرب ........ **أبوالفضل الإسناوى**

٣٣ استطلاع نظرة النخبة الأكاديمية الشابة حول المجلة ........ **د. مازن حسن**

٤٤ كيف تستمر دورية أكاديمية ٥٠ عاما؟ ........ **د. محمد عبدالسلام**

٤٦ "السياسة الدولية" فى عيون العالم ........ **د. وليد عبدالناصر**


● **المقـــالات:**


٥٢ صعود مصر فى السياسة الدولية ........ **حلمى شعراوى**

٥٨ مشاكل المسيحيين العرب ومستقبلهم ........ **د. سمير مرقس**

٦٤ تراجع أسعار النفط ونتائجه ........ **وليد خدورى**

٦٨ أزمة الديمقراطية عالميا وداخليا ........ **د. عمرو حمزاوى**

٧٢ أوروبا بين الإرهاب المحلى والعابر للأوطان ........ **عبدالنور بن عنتر**


● **ملف العــدد: ١٩٦٥ - ٢٠١٥ .. ماذا تغير فى العالم؟**


٧٨ تقديم: قضايا "السياسة الدولية" واتجاهات التغير العالمى ........ **أبوبكر الدسوقى**

٨٢ الخريطة المعرفية للتغير العالمى الشامل ........ **السيد يسين**

٩٠ الفاعلون الجدد على مسرح السياسة العالمية ........ **د. مصطفى كامل السيد**

٩٤ تحولات السياسة الخارجية الأمريكية وتأثيرها فى العلاقات الدولية ........ **د. عبدالمنعم المشاط**

٩٨ تحولات النظام الدولى خلال خمسين عاما ........ **محمد عبدالله يونس**

١٠٤ الأمم المتحدة بين المراجعة والتطوير ........ **د. أحمد الرشيدى**

١٠٨ الاتجاهات الرئيسية لتطور الاقتصاد العالمى ........ **د. إيهاب الدسوقى**

١١٢ التكتلات الاقتصادية الدولية .. تجمع "بريكس" نموذجا ........ **د. محمد عبدالشفيع عيسى**

٢٠٠
السنة الحادية والخمسون
العدد المئتان
أبريل ٢٠١٥

١١٨ الحروب غير المتماثلة وأثرها على الاستراتيجية العسكرية ..... د. شادى عبدالوهاب
١٢٤ الفضاء الإلكترونى وإشكاليات نظرية العلاقات الدولية ..... د. عادل عبدالصادق
١٣٢ إفريقيا والنظام الدولى .. جدلية التهميش والنهوض ..... د. حمدى عبدالرحمن
١٣٨ أمريكا اللاتينية .. نصف قرن للخروج من شرنقة الفناء الخلفى ..... د. رضا محمد هلال
١٤٢ الاستمرار والتغير فى سياسات مصر الإقليمية ..... جمال أبوالحسن

● **قضايا السياسة الدولية:**

١٥٠ **تقديم:** محركات التحول الإقليمى ..... سامح راشد
١٥٢ تجديد العلاقات المصرية – الروسية .. الدوافع والآثار ..... د. السيد أمين شلبى
١٥٦ عودة العلاقات الأمريكية – الكوبية بعد نصف قرن ..... أمل مختار
١٦٠ المعارضة السورية .. ومسارات الحل الغائبة ..... صافيناز محمد أحمد
١٦٦ أبعاد الحالة "الداعشية" فى ليبيا ..... على بكر
١٧٠ الكونجرس وأوباما بين الصدام والتعاون ..... محمد بسيونى عبدالحليم
١٧٦ التنافس على أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكى ..... أحمد دياب

● **مكتبة السياسة الدولية**

١٨٢ **تقديم:** قراءة إحصائية تحليلية فى المؤلفات الأجنبية ..... عمرو عبدالعاطى
١٩٠ مناقشة كتاب رأسمال المال فى القرن الـ ٢١ ..... أ. إبراهيم نوار – د. وحيد عبدالمجيد

**مؤلفات أجنبية، مؤلفات عربية**

● **ملحق "اتجاهات نظرية":**

**نظام إقليمى متغير** ..... (المحرر) د. خالد حنفى
د. منى نجيب، د. دلال محمود، محمد عباس ناجى، د. نادية سعد الدين

● **ملحق "تحولات استراتيجية":**

**عالم جديد؟** ..... (المحرر) مالك عونى
د. محمد رياض، صلاح حافظ، د. مصطفى علوى
د. محمد بهى الدين عرجون

## السياسة الخارجية المصرية بين الشمال والجنوب:

# عصر التحولات الكبرى فى العالم


**د. بطرس بطرس غالى**

**مؤسس مجلة "السياسة الدولية"**

**كانت "السياسة الدولية" هى المجلة العربية الدورية الأولى الموجهة إلى القارئ العام فى مجال كان الاهتمام به مقصورا على نخبة ضيقة من دارسى العلوم السياسية والدبلوماسيين، وبعض المشتغلين بالعمل العام. وهذه نقلة نوعية حققتها المجلة، حيث جعلت قضايا السياسة الدولية جزءا من النقاش العام الذى تجاوز الأوساط الأكاديمية، والدوائر المتخصصة، ومنتديات المثقفين، وانتشر فى المجتمع.**

وهذا إنجاز فى حد ذاته، لأن الكثير من المجلات والمطبوعات التى صدرت فى ذلك الوقت، وبعده، توقفت أو أغلقت. وعندما تبقى مجلة متخصصة لمدة نصف قرن، فهذا يعنى أنها قادرة على الاستمرار، فضلا عن أن الحاجة إليها لا تزال قائمة، بل ازدادت عما كانت عليه قبل نصف قرن.

لقد أردنا إيجاد منبر دورى مستمر لمتابعة ما يحدث فى العالم، ودراسته، وتحليله، وإتاحة المعرفة به لكل من يرغب فى الإلمام بها. وبدأنا هذا العمل فى وقت كان فيه العالم يتهيأ لتحولات كبرى تحمل فى طياتها أعمق تغيير فى تاريخه على مر العصور.

فقد أخذ العالم العربى يشهد، بُعَيْد إصدار "السياسة الدولية"، تغييرا لا سابق له فى تاريخه من حيث عمقه، وشموله، والمدى الزمنى الذى حدث فيه، ولا يزال. واكبت "السياسة الدولية" هذا التغير الذى سيزداد فى السنوات والعقود القادمة نتيجة العولمة وتداعياتها التى قربت البعيد، وجعلت العالم الشاسع المترامى الأطراف أشبه بقرية صغيرة، وبفعل القفزة

**استمرار "السياسة الدولية" لنصف قرن إنجاز كبير فى ذاته، والحاجة إليها ازدادت عما كانت عليه حين أردناها منبرا لمتابعة ما يحدث فى العالم ودراسته وتحليله فى وقت لم يكن فيه هذا النوع من المطبوعات معروفا فى العالم العربى كله**

التكنولوجية الهائلة التى صارت تعرف بـ "الثورة الرقمية"، وتجلياتها المتجددة واللانهائية.

غيَّرت العولمة أنماط العلاقات الدولية، والقواعد المنظمة لها، ووسعت نطاق تفاعلاتها. فلم تعد الدولة هى الفاعل الوحيد فيها، حيث ازداد حضور قوى أخرى Nonstate Actors، مثل الشركات الكبرى العملاقة المتعددة الجنسيات، والمنظمات غير الحكومية، أو المجتمع المدنى. وأصبح الارتباط بين العلاقات السياسية والاقتصادية أقوى من أى وقت مضى فى التاريخ.

كما غيرت الثورة الرقمية أنماط الحياة الإنسانية فى أعماقها، وأتاحت فرصا لا محدودة للتواصل بين الناس فى أنحاء العالم، وفتحت أبوابا لتغيير جذرى سيزداد مستقبلا فى نظم التعليم، والاقتصاد، والإدارة، والإعلام، والفن، كما فى المنظومات الاجتماعية، حيث أصبح النجاح والتقدم مرتبطين بإبداعات وابتكار أفكار جديدة، والقدرة على تنفيذها. فمن أهم معالم التحولات الكبرى التى تغير العالم الدمج المتزايد لتكنولوجيا الثورة الرقمية فى مجالات الحياة كافة، على نحو يجعل العالم الراهن مختلفا عما كان عليه قبل عقود قليلة.

ولذلك، تزداد فى هذا العالم المتغير أهمية العقل الإنسانى فى إنتاج الثروة، إلى جانب الموارد ورأس المال، فى ظل تطور متسارع يجعل المعرفة هى المصدر الرئيسى للازدهار الاقتصادى.

فالتغيير المترتب على الطفرة التكنولوجية المقترنة بالعولمة هو الأكبر والأسرع فى تاريخ العالم الذى ظل فى حالة ركود وسكون على مدى قرون طويلة، منذ أول تحول كبير فيه، عندما عرف الإنسان الزراعة، وإلى أن دخل عصر الصناعة.

غير أن التغيير الذى تحدثه الثورة الرقمية ربما يفوق ما ترتب على الثورة الصناعية، رغم أنهما من منبع واحد يقوم على فكرة أن أفضل الاختراعات هى التى لا تكتمل أبدا.

ولنأخذ مثلا اختراع أول سيارة تعمل بوقود بترولى (أحفورى)، واختراع أول موقع على شبكة معلوماتية.

لم تكن السيارة مجرد جسم يتحرك على عجلات، بل كانت رافعة لصناعة أحدثت تغييرا كبيرا فى حياة الإنسان، والمجتمع، والاقتصاد، وهكذا الحال بالنسبة لاختراع الإنترنت. فقد ثبت أن أهمية أى اختراع يرتبط بالآفاق التى يفتحها. فكلما كانت هذه الآفاق أوسع، صار الاختراع أكثر أهمية. وبمقدار ما تكون الآفاق التى يفتحها هذا الاختراع شاملة لمجالات مختلفة ومتنوعة، يزداد تأثيره.

**على مصر أن تشق طريقا جديدا، وسط أمواج متلاطمة فى منطقتها، على أساس من الوعى بعمق التغيير الذى يحدث فى العالم، واستيعاب دروسه، وتبنى رؤية جديدة للبحث العلمى، ومراجعة الميل الغالب فى سياستها الخارجية نحو الشمال، وإعطاء أهمية كبرى للجنوب، وتعزيز التعاون مع دوله**

وهكذا، غيَّر هذان التحولان الكبيران (الثورتان الصناعية والرقمية) صورة العالم، وسيواصلان تغييرها إلى جانب تحول ثالث يقع فى مجال الجغرافيا السياسية التى لم تفقد أهميتها، بل تغيرت معادلاتها، وهو انتقال مركز الثقل فى التفاعلات العالمية تدريجيا من البحر المتوسط إلى شرق آسيا.

**غيَّرت الثورة الرقمية أنماط الحياة الإنسانية فى أعماقها، وفتحت أبوابا لتغيير جذرى سيزداد مستقبلا فى نظم التعليم، والاقتصاد، والإدارة، والإعلام، والفن، حيث أصبح النجاح والتقدم مرتبطين بإبداعات وابتكار أفكار جديدة، والقدرة على تنفيذها، وصارت المعرفة هى المصدر الرئيسى للازدهار الاقتصادى**

وفى ظل هذه التحولات الكبرى، أصبح على مصر أن تشق طريقا جديدا، وسط أمواج متلاطمة فى منطقتها، على أساس من الوعى بعمق التغيير الذى يحدث فى عالم تحتاج إلى دعم حضورها فيه، وفى إطار استيعاب دروس هذا التغيير، وتبنى رؤية جديدة تماما للبحث العلمى، ومراجعة الميل الغالب فى سياستها الخارجية نحو الشمال، وإعطاء أهمية كبرى للجنوب، وتعزيز التعاون مع دوله.

## هل تُحدث التحولات الداخلية والطفرة التكنولوجية انقلابا ؟

# نحو تفسير جديد للتغيير فى العالم

د. وحيد عبد المجيد

**مختلفة كثيرا صورة العالم الآن مقارنة بما كانت عليه قبل ٥٠ عاما عندما أُصدرت مجلة "السياسة الدولية". والأرجح أن هذه الصورة ستختلف مرة أخرى فى فترة تقل عن نصف قرن، لأن معدلات التغير والتغيير تزداد باطراد.**

فقد تغير العالم، خلال نصف القرن الأخير، بمعدلات أسرع من أى زمن مضى. ولذلك، ربما يجوز القول إن هذا العالم لم يتغير خلال ٥٠ سنة (أية ٥٠ سنة) مثلما تغير فى العقود الخمسة الأخيرة.

ولكن ما يميز هذه العقود عن كل ما سبقها فى التاريخ ليس فقط حجم التغير والتغيير، ولكن أيضا نوعهما. وهذا هو ما ينبغى أن نتأمله اليوم، وأن نبدأ فى بحثه لاختبار الافتراض الذى نطرحه هنا للتفكير والنقاش، وهو أن التحولات الداخلية أحدثت أثرا فى تغيير العالم خلال العقود الأخيرة، لا يقل عن ذلك الذى ترتب على الصراعات الدولية والإقليمية، بل قد يفوقه.

فقد ظلت صراعات القوة والنفوذ على المستوى الدولى هى المحرك الرئيسى للتغيير فى العالم على مر التاريخ، والعامل الأول وراء التحولات التى حدثت فى النظام العالمى فى العصر الحديث. وكان للحروب العالمية والإقليمية دور محورى فى هذا التغيير. ومن البديهى أن العوامل الداخلية المحددة لقوة الدولة كانت حاضرة بالضرورة فى قلب العمليات التاريخية التى تغير العالم عبرها، من خلال الصراعات بين الإمبراطوريات والقوى الكبرى، وما اقترن بها من حروب.

فلم تكن التحولات الداخلية بعيدة عن العلاقات الدولية بمعناها الواسع، الذى يشمل التفاعلات بين أنواع مختلفة من الكيانات السياسية والاجتماعية، سواء كانت رسمية أو غير رسمية.

غير أن ما يميز الأعوام الخمسين الأخيرة هو ما يبدو من توسع دور العوامل الداخلية، وازدياد وزن التحولات التى تحدث داخل الدول، مضافا إليها الطفرة التكنولوجية الكبرى، فى التغيير الذى شهده العالم خلالها.

ويرتبط هذا الافتراض بتنامى وزن التفاعلات الداخلية التى لا تعد عابرة للحدود، ولكنها تؤثر بدرجات مختلفة فى العلاقات عبر هذه الحدود.

وثمة افتراض آخر يرتبط بما سبق، هو أن آليات التغيير السياسى والاجتماعى الذى ازداد وزنه فى التحولات العالمية تغيرت بدورها، ولا تزال آخذة فى التغير. وربما يكون التحول الذى حدث من نظرية قوى التغيير إلى فكرة الكتل الحرجة هو أهم معالم هذا التغير.

ويبقى افتراض ثالث نطرحه للتفكير والمناقشة أيضا، هو أن الطفرة التكنولوجية الهائلة التى ترتبط بالثورة الرقمية أسهمت فى تعزيز أهمية العوامل الداخلية، وزيادة وزنها فى العمليات التاريخية التى يتغير العالم بموجبها. وربما يكون مؤدى هذه الافتراضات الثلاثة، التى سنحاول بلورتها بشكل أكثر تحديدا فى السطور القادمة، فى حال التأكد منها، هو ازدياد دور الشعوب فى تغيير العالم فى الفترة القادمة.

### * بين التفاعلات الدولية والتحولات الداخلية:

ليس جديدا ارتباط الصراعات الدولية، وما تقترن به من حروب، وما تؤدى إليه من نتائج، بعوامل داخلية. ومن نافلة

القول إن ثمة علاقة جدلية بين التحولات التى تحدث على المستوى العالمى، وداخل الدول، خاصة الكبرى منها.

فقد ظلت بريطانيا، على سبيل المثال، هى الدولة الكبرى والأقوى فى العالم منذ منتصف القرن الثامن عشر، وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر، بسبب الثورة الصناعية التى خلقت فجوة قوية بينها وبين الدول الأخرى. فقد نما الاقتصاد الإنجليزى بمعدلات أسرع من غيره، واستحوذت بريطانيا وحدها على نحو ثلث الإنتاج الصناعى فى العالم عام ١٨٧٠. وكان إنتاجها يزيد مرتين ونصف المرة على ما أنتجته ألمانيا عند توحيدها، ويفوق مجمل إنتاج فرنسا، وإيطاليا، وروسيا، إلى جانب ألمانيا، مجتمعة.

كما عزز امتداد إمبراطورية بريطانيا الاستعمارية فى أرجاء العالم كله، وشمولها نحو ربع مساحة الأرض فى نهاية القرن التاسع عشر، تفوقها العالمى.

وهكذا، كانت العوامل الداخلية مؤثرة دوما فى تغير العالم وموازين القوى فيه. ولكن رغم أن هذه العوامل كانت تؤهل بريطانيا للتربع على قمة النظام العالمى، فقد بدا هذا النظام فى القرن التاسع عشر، وحتى الحرب العالمية الثانية، أقرب إلى التعدد منه إلى الأحادية. ولذلك، أطلق عليه كثير من دارسيه نظام توازن القوى.

وإذا كانت العوامل الاقتصادية الداخلية أثرت فى تغير العالم، منذ ازدهار التجارة فيه، ثم بدرجة أعلى بعد الثورة الصناعية، فقد ظلت الحروب المسلحة التى نجمت عن دوافع عدة هى المحرك الرئيسى لهذا التغير فى النصف الأول من القرن العشرين.

غير أن حرب ١٩٣٩- ١٩٤٥ كانت هى آخر الحروب التى أحدثت تغييرا كبيرا فى العالم، مثلما تعد الأخيرة ذات الطابع الدولى. فلم يكن لأى من الحروب الإقليمية التى نشبت فى السنوات الخمسين الأخيرة أثر قوى فى تغيير العالم. ونفتح قوسا هنا لنسأل عما إذا كان ذلك ينطبق على الحرب الأمريكية على العراق أم لا، بما أدت إليه من نتائج تنامى فى ظلها الإرهاب وتمدد، حتى صار مصدر تهديد ضخما إلى الحد الذى استدعى تشكيل تحالف دولى واسع لمواجهته.

وأيا يكون الأمر، فقد تبين فى أزمة خليج الخنازير، التى وضعت العالم على حافة حرب عالمية نووية عام ١٩٦٢، أن استخدام القوة المسلحة فى تغيير العالم لم يعد ممكنا، رغم أن هذه القوة ظلت، وستبقى كما كانت عبر التاريخ، عنصرا رئيسيا فى العلاقات الدولية.

كان ذلك قبل ثلاث سنوات من بداية "الخمسينية" الأخيرة، التى نطرح هنا للتفكير والنقاش افتراضا يربط تغير العالم خلالها بالتحولات داخل دوله أكثر من أى شىء آخر، بدون إغفال علاقة تلك التحولات بصراعات القوة على المستوى الدولى.

وكانت هذه العلاقة واضحة فيما أطلق عليه "حرب" باردة كانت هى محور الصراع الدولى حتى نهاية العقد التاسع من القرن الماضى. فقد دار الصراع فى تلك "الحرب" بين نموذجين سياسيين -اقتصاديين- اجتماعيين، لكل منهما مرجعيته الفكرية.

ورغم أن هذا الصراع أدير بوسائل عدة، وأدوات متباينة، كان بعضها عسكريا فى مساحات واسعة من العالم من كوبا إلى فيتنام، وأفغانستان، فقد كانت العوامل الداخلية هى الأكثر تأثيرا فيه.

**من أهم ما يميز الأعوام الخمسين الأخيرة توسع دور العوامل الداخلية، وازدياد وزن التحولات التى تحدث داخل الدول، مضافا إليها الطفرة التكنولوجية الكبرى، فى التغيير الذى شهده العالم خلالها. وإذا تأكد ذلك، واستمر فى الفترة القادمة، فسيزداد دور الشعوب فى تغيير العالم من خلال اجتماع الناس، سواء فى لجان الاقتراع (الانتخابات)، أو فى الشوارع والميادين (الثورات)**

فقد انهار الاتحاد السوفيتى السابق، وانفرط عقد معسكره، لأنه خسر "سباق النموذج" مع الولايات المتحدة والغرب. وبدون إغفال أهمية الضغوط الخارجية، فقد تفككت "المنظومة السوفيتية"، لأن الاختلالات داخلها كانت أعمق من تلك التى عانتها المنظومة الغربية. كما أن قدرة النظام السياسى فى "المنظومة السوفيتية" على معالجة اختلالاتها كانت أقل من الإمكانات التى توافرت لنظيره الغربى الذى أتاح فرصا للتصحيح والمراجعة، أخذت تقل منذ ذلك الوقت، الأمر الذى يفرض التساؤل عن أثر ذلك على النظام السياسى الأمريكى الذى اشتدت أزمته، وبالتالى على العالم فى الفترة المقبلة، وهو ما سنعود إليه لاحقا.

كان لتنامى استياء قطاعات متزايدة من الشعوب فى بلاد "المنظومة السوفيتية" دور كبير فى التغيير الذى حدث فى العالم فى نهاية ثمانينيات القرن الماضى. وكان هذا التغيير هو الأكبر فى العالم منذ منتصف ذلك القرن، دون أن يعنى ذلك التقليل من أهمية تصاعد دور حركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار. لقد غيرت هذه الحركات فى صورة العالم. ولكن انهيار "المنظومة السوفيتية" غير هذه الصورة فى مجملها. والقاسم المشترك بين الحالتين هو تنامى دور العوامل الداخلية فى تغيير العالم.

### * بين قوى التغيير و"الكتل الحرجة":

وإذا كانت "الحيثيات" السابقة تظهر ضرورة التفكير فى دور العوامل الداخلية فى تغيير العالم، فثمة أسباب لا تقل أهمية تدفع إلى التفكير فى التغير الذى حدث -ويحدث- فى طبيعة تلك العوامل. فلم يمض على إصدار "السياسة الدولية" ثلاث سنوات، حتى كان العالم على موعد مع حركات الاحتجاج والتمرد

الشبابية التى استهلها طلاب فرنسا عام ١٩٦٨، وانتشرت فى بلاد عدة أوروبية وغيرها.

وكان هذا التحول فى حينه تعبيرا عن قرب إسدال الستار على نظرية قوى التغيير، التى بشرت بها الماركسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وتصدرت المشهد حتى ستينيات القرن العشرين، خاصة منذ نجاح الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧.

فقد حمل خروج الطلاب من جامعاتهم، بدءا من ١٩٦٨، وحضور قطاعات من الشباب فى قلب التفاعلات الهادفة إلى التغيير، معنى العودة إلى حالة التجمعات الجماهيرية أو الشعبية التلقائية، بعد أن بلغت نظرية قوى التغيير المنظمة، والأيديولوجية، أو العقائدية فى معظمها نهاية طريقها.

غير أنها كانت عودة مختلفة فى محتواها، وليس فقط فى شكلها، عما كانت عليه حالة التجمعات الجماهيرية، التى ظلت هى محور الفعل التغييرى منذ القرن الثامن عشر، حين بدأ الإنسان يتطلع إلى التحرر من الاستبداد، والاستعباد، والقهر. وأخذت فكرة التقدم تشق طريقها فى قلب عالم ساده الجمود لقرون طويلة، وتلهم العقل، والفكر، والسلوك، وتفجر تفاعلات متنوعة، منها ما هو سلمى، وما هو عنيف، سواء بين الأفراد والجماعات، أو بين الدول.

ويعنى هذا التغيير، ضمن ما يحمله من معان، دخول العامة إلى التاريخ الذى ظل مقصورا على الحكام، وحاشياتهم، وأتباعهم. فقد اقترن تحول العالم من السكون إلى الحركة بتحول العوام إلى مواطنين، وتشكلهم فى صورة شعوب تتطلع تباعا لتقرير مصيرها، واختيار مستقبلها، وتنامى النضال من أجل التحرر من الاستعباد، سواء لحكام، وحاشيات، وأتباع، أو لأجانب مستعمرين.

وأخذ هذا التغيير مسارين تقاطعا فى أحيان، وتوازيا فى أخرى، وهما الإصلاح والثورة. كانت بريطانيا نموذجا لمسار التغيير الإصلاحى، فيما كانت فرنسا نموذجا لمسار التغيير الثورى، فى أوروبا كما فى العالم. ولا يزال هذان هما مسارى التغيير فى العالم حتى الآن، وفق قاعدة يجوز أن نحسبها عامة، رغم أن الاستثناءات التى ترد عليها تفوق غيرها من القواعد، وهى أن كفة المسار الإصلاحى للتغيير ترجح كلما توافرت إمكانات الديمقراطية، والعكس.

غير أنه لزيادة عمومية هذه القاعدة، ربما نحتاج إلى إعادة صوغها كالتالى: تزداد فرص المسار الإصلاحى للتغيير، وتقل احتمالات نظيره (أو بديله وفق اتجاه غالب فى دراسة هذا الموضوع)، حين تكون الديمقراطية فاعلة ومحققة ما يفترض أنه أهم أهدافها، وهو ضمان أوسع مشاركة ممكنة، واحترام حقوق الأقليات كافة، وليس فقط التداول على السلطة عبر الانتخابات.

وفى كل من المسارين، يرتبط التغيير بإرادة جماعية تعبر عن تجمع بشرى يجتمع أفراده على استبدال سلطة قائمة، عبر الاجتماع فى لجان الاقتراع، أو من خلال الاجتماع فى الشوارع والميادين. فقد بدأ العالم يتغير فى أواخر القرن الثامن عشر، وخلال القرن التاسع عشر على هذا النحو، حيث كان وجود كتلة بشرية قادرة على تحقيق أغلبية أو أكثرية فى الانتخابات، أو على فرض إرادتها فى الشارع منذ الثورة الفرنسية ١٧٨٩، هو السبيل إلى التغيير.

وكان القاسم المشترك بين هذين النوعين من التجمعات هو التلقائية. فكانت العمليات الانتخابية فى ذلك العصر بسيطة، قبل أن يؤدى توسيع نطاق الناخبين، مع تعميم الحق فى الاقتراع تدريجيا، إلى تطور أساليب الدعاية، وفنون التأثير فى الرأى العام، وأدوات التعبئة والحشد، وقبل أن يصبح الإعلام إحدى هذه الأدوات، خاصة عقب اختراع التليفزيون.

وإذا كان من طبائع الانتخابات ألا يعرف الناخبون أنهم أغلبية أو أكثرية إلا بعد إعلان نتائجها، فمن سمات الثورات الشعبية ألا يعرف من ينزلون للاحتجاج أنهم فى ثورة إلا وهم فى قلبها.

### * عصر الأيديولوجيات وقوى التغيير:

ظل التغيير الفعلى بمساريه الإصلاحى والثورى فى العالم محدودا خلال القرن التاسع عشر. كانت كوابح التغيير أقوى من دوافعه. وأدى ذلك إلى ظهور أفكار تبحث عن سبل جديدة للتغيير، خاصة عبر المسار الثورى، فى ظل احتدام الصراع نتيجة احتجاز التطور فى العالم. وكانت الماركسية، التى صارت بعد كارل ماركس ماركسيات متعددة، نقلة نوعية فى اتجاه "أدلجة" عملية التغيير، وتأطيرها، وتنظيمها. وكان أهم معالم ذلك التحول هو البحث عن القوى التى تحقق التغيير، بدلا من انتظار حدوثه عندما يصل الوعى العام إلى مستوى يتيح التحرك التلقائى، سعيا إليه.

وأصبح ما أطلق عليه قوى التغيير المنظمة، أو القوى الثورية، أو الطليعة المتقدمة، هو المحور الرئيسى لمسألة التقدم منذ أواخر القرن التاسع عشر، وحتى ستينيات القرن العشرين، حين بدأت التجمعات الاحتجاجية الشعبية تستعيد أهميتها، ولكن بمضمون، وفى شكل مختلفين.

فقد أعطى نجاح الثورة البلشفية، التى قادتها طليعة منظمة مسلحة بأيديولوجيا ثورية، ومعتمدة على تنظيم حديدى قوى، زخما كبيرا لـ "نظرية" قوى التغيير فى العالم.

وأسهم فى ذلك أيضا النضال من أجل التحرر من الاستعمار، الذى كان يتحول فى ذلك الوقت من طابعه الكولونيالى التقليدى ليأخذ طابعا يغلب عليه النهب الاقتصادى، فى ظل تسارع وتيرة الثورة الصناعية فى مهدها البريطانى، وانتشارها بدرجات مختلفة فى الدول الاستعمارية الأخرى.

وقد شاع وصف زعيم الثورة البلشفية، فلاديمير لينين، لتلك المرحلة فى تطور الظاهرة الاستعمارية، وهو "الإمبريالية" التى عدّها فى أحد كتبه "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" أكثر العوامل تأثيرا فى العالم فى تلك المرحلة.

كما بدت الفكرة القائلة إنه "من أجل التغيير ينبغى بناء قوى التغيير" كما لو أنها حكمة شائعة، أو أمر بديهى، بما يعنيه ذلك

من إضفاء طابع إرادى على فكرة التغيير. وأصبح هذا الطابع الإرادى محوريا فى فكرة التغيير إلى الحد الذى أزال الحد الفاصل بين تغيير يعبر عن إرادة جماعية، وآخر يحدث نتيجة قدرة تنظيمية لمجموعات صغيرة، وقد يعبر عن إرادة فردية فى بعض الأحيان.

ولذلك، صارت الانقلابات العسكرية من أهم أدوات التغيير فى العالم فى تلك المرحلة، وأطلق على كثير منها ثورة فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية بصفة خاصة، وفى آسيا بدرجة أقل. كما أصبحت هذه الانقلابات أداة من أدوات الصراع الدولى بين خمسينيات وسبعينيات القرن الماضى، حيث استخدمتها الولايات المتحدة وجهاز استخباراتها فى إدارة هذا الصراع ضد الاتحاد السوفيتى، وارتكبت فى سبيل ذلك جرائم ضد الإنسانية، لم يحاسب من ارتكبوها.

وكان طبيعيا، فى ظل الطابع الإرادى للتغيير، والقبول الواسع لفكرة قوى التغيير، أو القوى الثورية المحركة لهذا التغيير، أن تتوسع ظاهرة "عسكرة" الفعل التغييرى، وأن تلقى تأييدا، ويتحول بعض رموزها إلى أيقونات، وفى مقدمتهم شى جيفارا الأرجنتينى الذى شارك فى تغيير كوبا عبر نضال ثورى مسلح، ثم انتقل لمواصلة هذا النضال فى أمريكا اللاتينية، وتحول إلى أيقونة بعد قتله فى بوليفيا عام ١٩٦٧.

لم تمض سنوات على قتل جيفارا، وما مثله من صدمة لأنصار "نظرية" قوى التغيير، حتى بدا أن هذه "النظرية" تتجه إلى طريق مسدود، أو تصبح على الأقل قليلة الفائدة، سواء كأساس للفعل التغييرى، أو حتى كمنهج لتحليل وفهم حركية (ديناميكية) هذا الفعل.

وكان عجز كثير من قوى التغيير فى سبعينيات القرن الماضى عن تغيير نفسها أولا، وتجديد دمائها فكريا وحركيا، وتجنب الشيخوخة التى دبت فيها، من أهم عوامل التراجع التدريجى للتغيير الإرادى المعتمد على قوى منظمة مسلحة بأيديولوجيا ثورية، وتمتلك تنظيما قويا متماسكا.

وربما يعد التغيير الذى حدث فى الدول، التى كان تطورها محتجزا فى جنوب أوروبا (اليونان، وإسبانيا، والبرتغال) بداية نقطة التحول باتجاه تراجع دور قوى التغيير. فقد حدث التغيير فى هذه البلاد نتيجة تحلل الأوضاع التى كانت قائمة، وعجز الأنظمة التسلطية فيها عن إدارة التناقضات الناتجة عن سياساتها، والسيطرة عليها، فضلا عن ترحيب دولى بتغييرها، توافق عليه ضمنيا المعسكران المتصارعان اللذان كسب أحدهما دعما لشعاره المنبت الصلة بالواقع (العالم الحر)، بينما ربح الآخر دورا للأحزاب الشيوعية التى كانت محظورة ومقموعة فى النظم التى سبقت ذلك التغيير.

وقل مثل ذلك عن التغيير الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى ومعسكره. فباستثناء بولندا، حيث أسهمت حركة "تضامن" العمالية فى التعجيل بالتغيير، كان شوق قطاعات واسعة من شعوب، فرضت عليها أنظمة الحكم الشمولية "ستارا حديديا"، إلى الحرية هو العامل الرئيسى الذى أدى إلى تغيير غَيَّر العالم فى مجمله.

**أصبح التغيير الإرادى معاكسا لحركة التاريخ بعد انقضاء عصر "قوى التغيير" القادرة على تحقيق تحول منظم ومخطط له مسبقا. ولذلك، فشلت الولايات المتحدة فى تحقيق التغيير الذى تخيله "المحافظون الجدد" فى العراق، فصح وصفهم بـ "بلاشفة البيت الأبيض". ولذلك أيضا، سيفشل مشروع "داعش"، لأنه يقوم على منهج التغيير الإرادى العقائدى المنظم الذى انقضى عصره**

وحتى فى بولندا، يصعب القول إن حركة "تضامن" كانت قوة تغيير بالمعنى الذى عرفه العالم من أواخر القرن التاسع عشر إلى ستينيات القرن العشرين. فقد كانت تعبيرا عن تطلع قطاع أساسى فى المجتمع إلى التغيير الذى تحقق عندما انتشر هذا التطلع فى أوساط قطاعات أخرى، وصارت هناك كتلة كبيرة ترغب فيه.

ونظرا لصعوبة، وربما عدم إمكانية، تحديد حجم هذه الكتلة التى تستطيع تحقيق التغيير، ولاختلاف الظروف، ومن ثم المعايير، من بلد إلى آخر، يصبح المعيار هو الوصول إلى الحالة التى يصعب فى ظلها كسر هذه الكتلة، أو تقويضها، أو إرهابها، وتفقد أجهزة السلطة الأمنية قدرتها القمعية، أو تدرك عدم جدوى استخدام هذه القدرة. وهذه هى "الكتلة الحرجة"، التى تستمد وصفها هذا من الحالة التى تصبح فيها المواد النووية مكونة لكتلة انفجارية.

فلم يعد التغيير إراديا تقوده قوى ثورية ذات توجهات أيديولوجية، بل صار عفويا يعتمد على تجمعات شعبية، يجمعها الاحتجاج، وتصبح قادرة على فرض إرادتها، حين تتحول إلى كتلة حرجة. ورغم أن هذا التغيير أكثر صعوبة، وأطول أمدا، لأنه يفتقد القوة المنظمة التى تقبض على السلطة، وتضرب خصومها، وتصفيهم، أو تضعف تماما قدرتهم على المناوأة، فهو منسجم مع مستوى التطور الذى حدث فى العالم، ولا يزال يحدث على نحو يجعل صورة هذا العالم مغايرة لما كانت عليه قبل عقود قليلة.

### * الاستثناءان الأمريكى .. و"الداعشى":

وفى ظل هذا التطور، يبدو الإصرار على التغيير الإرادى، فى غياب مقوماته الموضوعية، معاكسا لحركة التاريخ. ولذلك، بدا أن "المحافظين الجدد" فى الولايات المتحدة فى عصر آخر، عندما قرروا تحقيق التغيير فى العراق، عبر غزو مسلح عام ٢٠٠٣، الأمر الذى دفع بنديت كوهن إلى وصفهم بـ "بلاشفة البيت الأبيض". ولذلك، فشل مشروعهم الذى لم يكن غزو العراق إلا خطوة أولى فيه باتجاه تغيير الشرق الأوسط، وإعادة تشكيل العالم فى مجمله، مثلما سيفشل مشروع تنظيم "الدولة الإسلامية" الذى لا يزال معروفا باختصار اسمه السابق

"داعش"، لأنه ينتمى بدوره إلى الماضى، أو بالأحرى إلى ماضيين، أحدهما سحيق، ولكنه يشكل أساس ذهنيته، ونظرته إلى العالم، والآخر قريب، كان التغيير الإرادى المنظم الأيديولوجى ممكنا فيه.

وربما تكون نقطة ضعف "داعش" الأساسية فى اعتماده على أدوات العصر الأقرب فى التغيير، المعتمد على فعل إرادى منظم ومسلح، أكثر مما هى فى انتمائه إلى العصر الأبعد، واستناده إلى بعض نصوص هذا العصر الفقهية.

ويعود ذلك إلى الطابع الغالب على هذا التنظيم، الذى يتحول يوما بعد يوم إلى حركة تمرد تجد حاضنات مجتمعية، خلقتها سياسات الأنظمة الاستئصالية فى المنطقة، خاصة فى سوريا والعراق، بما يعنيه ذلك من أنه لم يعد مجرد تنظيم إرهابى على نسق "القاعدة".

ولذلك، صار يقدم نفسه، منذ أن تمدد فى شمال غرب العراق فى صيف ٢٠١٤، وأعلن "خلافة" مركزها هذه المنطقة، التى صارت مفتوحة على شمال شرق سوريا، بوصفه حاملا لراية تغيير العالم، وتخليصه من الظلم، والاستعباد، والفساد، والاستكبار، أكثر من كونه تنظيما دينيا. ولذلك، استطاع جذب عدد متزايد من الأوروبيين الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام، عشية الالتحاق به، دون أن يعرفوا عنه سوى أنه الراية التى "يناضلون" تحتها من أجل تغيير العالم، مثلما كان بعض أسلافهم يعتنقون التفسيرات الأكثر جذرية للماركسية للسبب نفسه، ودون أن يعرفوا عنها سوى أقل القشور.

وهكذا، فبعد أن كانت الماركسية، خاصة فى نسخها الماوية والتروتسكية، وأفكار اليسار الجديد، والتوجهات الماركوزية والوجودية، هى الرايات المرفوعة لتغيير العالم، حين صدرت "السياسة الدولية" قبل نصف قرن، صارت "الداعشية" الإسلامية هى أهم هذه الرايات الآن، ولكن فى مرحلة تجاوز فيها الزمن هذا النوع من التغيير وأدواته.

ولذلك، سيفشل "داعش" فى تحقيق التغيير الذى يتطلع إليه. ولكن هذا الفشل سيلحق به بوصفه حركة تمرد اجتماعى، ولن يكون بالتالى مؤديا إلى القضاء عليه، أو حتى إضعافه بشكل جوهرى، مادامت سياسات الأنظمة الحاكمة فى المنطقة مستمرة، بدرجات وأشكال مختلفة، فى تغذية البيئات المنتجة للتطرف، والتعصب، والانتقام الأعمى، نتيجة جمودها وانغلاقها على نفسها، وعجزها عن إطلاق الطاقات الخلاقة لدى الأجيال الجديدة الأقدر على فتح الطريق أمام أحد أكثر العوامل جوهرية فى تغيير العالم الآن، وهو الابتكار والإبداع فى عصر الثورة الرقمية. فعندما لا تختلف الأنظمة الحاكمة فى جوهرها عن تنظيمات العنف، وتبدو جمهوريات وممالك الخوف المتوحشة هى الوجه الآخر لإدارة التوحش فى "دولة داعش"، وإمارات التنظيمات الأخرى، يستحيل أن يحسم أى من الطرفين الصراع ضد الآخر.

*** الطفرة التكنولوجية تغير العالم:**

صنع التزامن بين ازدياد التأثيرات الدولية للتحولات الداخلية، وتداعيات الطفرة التكنولوجية الكبرى التى لا سابقة لها فى نوعها وانتشارها، حالة جديدة قد يصعب فهم التغيير الذى يحدث فى العالم بدون تأملها وبحثها، وفحص ما يقترن بها من افتراضات.

وربما كان هذا الارتباط الزمنى هو العامل الرئيسى الذى يدفع إلى إدراج تلك الطفرة ضمن التحولات الداخلية، من زاوية أنها تعبر عن تغير اقتصادى نوعى فى عدد من الدول الكبرى، رغم طابعها العابر للحدود.

وتوصف هذه الطفرة، التى يطلق عليها فى نطاق واسع الثورة الرقمية، بأنها ليست مسبوقة فى التاريخ، سواء على مستوى طبيعة التغير المترتب عليها، أو من زاوية معدلات انتشارها، وحجم الظواهر المرتبطة بها، فضلا عن آثارها.

وتعزز نتائج دراسات مهمة فى هذا المجال الاتجاه الذى يذهب إلى أن آثار هذه الطفرة التكنولوجية فى نصف القرن الأخير تفوق ما ترتب على التقدم التقنى فى السنوات الخمسين السابقة عليه (١٩١٥ - ١٩٦٥)، من زاوية ما أحدثته -وتحدثه- من تغير فى العلاقات الدولية، وأنماط التفاعلات العالمية، وأدواتها، والفاعلين فيها، بعد أن صار الفضاء الإلكترونى مجالا جديدا لهذه العلاقات، إلى جانب المجالات المعتادة، مثل الأرض، والبحر، والجو، والفضاء الخارجى.

وينظر من يرون فى هذه الطفرة - الثورة نقلة نوعية تاريخية إليها بوصفها أهم تجليات الانتقال من عصر "الحاجة أم الاختراع" إلى عصر "الاختراع يخلق الحاجة إليه وإلى غيره مما يرتبط به"، أى من مرحلة كانت حاجات الإنسان فيها هى الدافع الرئيسى للاختراع الذى ظل بسيطا على مر التاريخ، بقدر بساطة تلك الحاجات، إلى مرحلة صارت فيها التكنولوجيا هى صانعة التغير فى حياة الإنسان، كما فى العالم.

ومن أبرز الأمثلة على هذا التحول وأثره فى حياة الناس أن هذه هى المرة الأولى التى يرتدى فيها الإنسان التكنولوجيا كجزء من ملابسه. فلم تمض سنوات قليلة على إتاحة تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية بين يدى الإنسان، حتى أصبحت قابلة لأن يرتديها فى صورة ساعة يد، ونظارة، وحذاء، وسوار، وقَرط للأذن، وغير ذلك.

وشهد العام الماضى (٢٠١٤) تكريس استقلالية الأدوات التكنولوجية القابلة للارتداء بوصفها صناعة، أو صناعات، قائمة بذاتها. فإلى جانب "ساعة آبل"، و"نظارة جوجل"، وسوار مراقبة اللياقة البدنية، أصبح فى العالم الآن نحو ٢٠ أداة تكنولوجية رقمية قابلة للارتداء.

غير أنه ينبغى الانتباه إلى رؤية أخرى فى هذا المجال، قد لا تقلل أهمية الطفرة التكنولوجية الرقمية، فى السياق الذى نضعها فيه هنا، ولكنها تفرض أخذها فى الحسبان فيما يتعلق بآفاقها المستقبلية. فيرى بيتر ميثيل وبلايك ماستر، مثلا، فى كتابهما المثير للجدل الصادر عام ٢٠١٤ تحت عنوان (من صفر إلى واحد From Zero to One) أن الطفرة التكنولوجية التى حدثت فى العقود الأخيرة لا تعد غير مسبوقة، وأن آفاقها

محدودة، لأنها تقوم على تراكم علمى أفقى، وليس رأسيا، وأن الطفرة التى سبقتها فى الفترة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية النصف الثانى من القرن الماضى كانت أكبر.

وهما ليسا وحيدين بطبيعة الحال فى تقديرهما هذا الذى يرى أن منجزات الطفرة التكنولوجية الرقمية تتركز فى تكاثر التطبيقات فى مجال الاتصالات بالأساس، بخلاف الفترة السابقة عليها التى شهدت اختراعات كثيرة مختلفة، مثل السيارة، والطائرة النفاثة، والجراموفون، والراديو، والتليفزيون، والغواصة، والصاروخ، والقنبلة الذرية، والأقمار الاصطناعية.

ويذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن التوسع فى الابتكار فى تلك المرحلة (الأعوام الخمسون قبل الأخيرة) كان رأسيا أو عموديا، بمعنى أنه حقق تراكما أدى إلى اختراعات متعددة ومتنوعة فى مجالات شتى هى التى غيرت وجه الحياة على الأرض، فى حين أن التوسع فى ابتكارات الثورة الرقمية لا يزال أفقيا، حيث يتركز فى تكاثر التطبيقات فى مجال الاتصال وأجهزتها.

غير أنه إذا ثبت بالفعل أننا إزاء توسع أفقى، وبالتالى محدود الأفق، فقد لا تكون هذه هى المعضلة الأولى المقترنة بالطفرة التكنولوجية ذات الطبيعة الرقمية. فقد تكون المعضلة الأكثر أهمية مرتبطة بالآثار المتوقعة لهذه الطفرة على النظام الاقتصادى، ومن ثم على العلاقات الاقتصادية الدولية فى الفترة المقبلة.

**غيرت الطفرة التكنولوجية الكبرى فى الأعوام الخمسين الأخيرة حياة الإنسان، وأنماط التفاعلات داخل الدول، وفيما بينها، رغم أن هناك من يرى أن التقدم العلمى فى نصف القرن السابق عليها (١٩١٥ - ١٩٦٥) كان أكبر، لأنه قام على تراكم رأسى، وليس أفقيا. وإذا كان للتغيير المترتب على الطفرة التكنولوجية الراهنة منافع كثيرة، فهو يفاقم التفاوت الاجتماعى المتزايد، فى ظل ازدياد تركز الثروة، وتوسع نطاق البطالة، نتيجة تقليص فرص العمل أمام العمالة الأقل مهارة وبالتالى انتشار الفقر بمعدلات أكبر وأخطر**

فالمتوقع، وفق المعطيات الراهنة، أن تؤدى هذه الطفرة إلى توسع فى مجال التشغيل الآلى "الأتمتة"، واستخدام الروبوت. وبمقدار ما سيبلغه هذا التوسع، قد تتفاقم مشكلتان كبيرتان تواجهان العالم الآن، وتثيران مخاوف هائلة على مستقبله.

تتمثل المشكلة الأولى فى تكريس التفاوت الاجتماعى وزيادته (راجع مكتبة "السياسة الدولية" التى اختارت كتاب توماس

**إذا كان التغير الكبير السابق فى العالم بدأ داخل الاتحاد السوفيتى دون أن يتوقعه أحد، فقد يبدأ التغيير الكبير القادم داخل الولايات المتحدة التى تزداد أزمة نظامها السياسى - الاجتماعى على نحو يعطل الآليات الديمقراطية، وبالتالى القدرة على التصحيح، ويفقد أمريكا أهم المزايا التى أتاحت لها التفوق. فقد انهار الاتحاد السوفيتى، لأن نظامه افتقد القدرة على معالجة الاختلالات المتراكمة، الأمر الذى يفرض التساؤل عن مستقبل العالم، فى حالة استمرار الجمود السياسى - الاجتماعى الذى يُضعف قدرة النظام الأمريكى على تصحيح اختلالات واضحة آخذة فى التراكم والتفاقم**

بيكيتى "رأس المال فى القرن الحادى والعشرين" ليكون الكتاب الرئيسى الذى تناقشه فى هذا العدد). فالتوسع فى الأتمتة" يعمل فى مصلحة الشركات الكبرى والأكثر ثراء، لأنها هى الأقدر على تحمل نفقات التشغيل الآلى فى البداية، وعلى جنى الأرباح الهائلة التى ستترتب عليه فى النهاية.

وإذا كان تعاظم هذه الأرباح يمثل مشكلة فى ذاته لما يؤدى إليه من تفاقم التفاوت الاجتماعى الذى بلغ مبلغ الخطر الآن بالفعل، فهو يرتبط بالمشكلة الثانية والأخيرة الملتصقة به، وهى تقليص فرص العمل أمام العمالة الأقل مهارة، وتضييق المجال أمام المشاريع التى تتطلب مهارات متوسطة. فالمتوقع أن يؤدى التوسع فى "الأتمتة" إلى تقليل الطلب على العمالة، وبالتالى إلى توسع نطاق البطالة، وانتشار الفقر بمعدلات أكبر وأخطر، وازدياد الفجوة الاجتماعية لمصلحة القلة التى تملك وتهيمن اقتصاديا على نحو يدعم قدرتها على أن تسيطر سياسيا.

وقد يخلق هذا التطور تحديات كبرى، بما يمكن أن يؤدى إليه من اضطرابات مجتمعية، وسياسية متزايدة. وقد يقود ذلك إلى تحولات داخلية متزايدة لا تستثنى الدول الكبرى، بل قد تكون الولايات المتحدة فى مقدمة المرشحين لهذا التطور، فى حالة تنامى الاحتجاجات ضد التفاوت الاجتماعى، وتجاوزها الأشكال النخبوية المحدودة التى عبرت عنها فى السنوات الأخيرة، خاصة حركة "احتلوا وول ستريت" التى اندلعت فى سبتمبر ٢٠١١، والتى تعد امتدادا لحركة أوسع بدأت فى مواجهة العولمة، انطلاقا من انتفاضة زاباتستا فى المكسيك، ومحاولات تشكيل حركة الفعل المباشر (direct-action).

وقد لا يكون هذا هو السبب الوحيد الذى يدفع إلى التفكير بجدية فى احتمال أن يبدأ التغير الكبير القادم فى العالم، وفى

معادلات المنظومة الدولية، داخل الولايات المتحدة، مثلما بدأ التغير الكبير السابق داخل الاتحاد السوفيتى.

لم يكن فى استطاعة أحد توقع ما حدث فى الاتحاد السوفيتى، عندما أُصدرت "السياسة الدولية" وبعدها بأكثر من عقدين.

ولذلك، لا يقدر أحد على مصادرة ما يمكن أن يحدث فى الولايات المتحدة، التى دخل نظامها السياسى أزمة عميقة لما أصابه من جمود يعطل الآليات الديمقراطية، ويجعلها شكلا فارغا من أى مضمون، ويشكك فى قدرتها على التعبير عن الإرادة الشعبية. لقد فقد كثير من الأمريكيين الثقة فى العملية الديمقراطية والانتخابات، كما فى الطبقة السياسية التى تزداد إفلاسا، بعد أن فقدت القدرة على التجديد إلى الحد الذى يؤدى إلى اكتساب "عائلات"، سياسية نفوذا يناقض مقومات النظام الديمقراطى، ويبلغ المبلغ الذى يدفع إحداها للتطلع إلى تقديم رئيس ثالث خلال ربع قرن (عائلة بوش)، ويجعل فرصته الثانية (عائلة كلينتون) فى تقديم رئيس (رئيسة) للمرة الثانية خلال عقدين من الزمن كبيرة.

وربما تصل أزمة الديمقراطية الأمريكية إلى حد إعادة إنتاج تجربة سباق رئاسى بين هاتين العائلتين فى الانتخابات القادمة، إذ تبدو هيلارى كلينتون بلا منازع قوى حتى الآن فى الحزب الديمقراطى، بينما يسعى جيب بوش (الشقيق الأصغر للرئيس السابق) إلى تعزيز موقعه بين المتطلعين للترشح عن الحزب الجمهورى.

ولذلك، أصبحت أزمة الديمقراطية الأمريكية المعطلة موضعا لاهتمام متزايد فى السنوات الأخيرة، بلغ ذروته فى كتاب فرانسيس فوكوياما الصادر عام ٢٠١٤، والذى استخدم كلمة "decay"، للتعبير عنها. ومن بين كلمات عربية عدة مستخدمة فى ترجمة "decay"، تبدو كلمة التحلل هى الأقرب فى هذا السياق، حيث يتحلل النظام السياسى من داخله نتيجة جموده، وعجزه عن التجدد، وخضوعه لطبقة أحكمت هيمنتها عليه، وتباعدت المسافات بينها وبين فئات متزايدة فى المجتمع.

وإذا صح أننا إزاء حالة تحلل حقا فى النظام الأمريكى، فهى لا تختلف فى جوهرها عما حدث فى النظام السوفيتى. ولكن الحالة الأمريكية تظل قابلة للتصحيح الذى افتقد النظام السوفيتى أدواته، إذا أمكن تجديد الطبقة السياسية، ووضع حد لهيمنة الأثرياء، أو الأكثر ثراء.

غير أنه لا تتوافر اليوم مؤشرات تفيد إمكان تحقيق ذلك، الأمر الذى يجعل النظام السياسى الأمريكى مفتوحا على احتمالات شتى، قد يبدأ تغيير جوهرى فى العالم من أحدها. وقل مثل ذلك عن أوروبا التى تواجه فى اللحظة الراهنة بداية تداعيات أكبر زلزال سياسى ضربها، منذ سقوط جدار برلين، عبر صعود ائتلاف يسارى راديكالى فى مواجهة هيمنة القلة المسيطرة على الاقتصاد والسياسة (الأوليجاركية) فى بلاده، كما فى أوروبا، واستخدامها مؤسسات دولية وقارية (صندوق النقد الدولى، والبنك المركزى الأوروبى، والمفوضية الأوروبية) لتكريس هذه الهيمنة، عبر سياسات الإفقار والتهميش التى يطلق عليها "تقشف".

وربما يحدث "زلزال" سياسى أوروبى آخر قريبا فى إسبانيا على يدى حزب بوديموس، أو "نحن نستطيع"، اليسارى الراديكالى الذى أنشئ فى نهاية عام ٢٠١٣، وحقق صعودا صاروخيا فى أشهر قليلة.

وهكذا، يبدو العالم اليوم، وقد تغيرت صورته تماما عما كان عليه قبل ٥٠ عاما، مقبلا على تغيرات، ربما تكون أعمق مما نهتم به عادة فى مجال موازين القوى، وأنماط التفاعلات، وقد تنطوى على "انقلاب" فى محركات عملية التغير والتغيير على نحو يعزز أهمية التفكير، انطلاقا من افتراضات غير تقليدية، واستنادا إلى منهجية متعددة الجوانب تربط بين العلاقات الدولية، والنظم السياسية، والاقتصاد، والمجتمع.

# محمد حسنين هيكل

## فى حوار خاص

## مع "السياسة الدولية"

- مهمة "السياسة الدولية" أن تكون كشّافا للمستقبل
- قضايا العرب خرجت من أيدى أصحابها إلى قوى إقليمية ودولية
- روسيا فتحت حسابا جديدا لمصر .. لكن الحساب القديم لم يغلق
- مصر أدت مهمتها للسياسة الأمريكية ..وستأتى واشنطن إليها حين تستعيد قوتها
- إعادة توزيع القوة فى العالم تشبه حالة حمل قد تتمخض عن خمسة أو ستة توائم




شارك فى الحوار:

د. وحيد عبد المجيد

مالك عونى

أبو بكر الدسوقى

سامح راشد

أبو الفضل الإسناوى

***الحوار مع الأستاذ محمد حسنين هيكل يكتسب مضمونا مختلفا، ومذاقا خاصا حين يكون عن السياسة الدولية ومجلتها، وهيئة تحريرها، فهو ليس مجرد حوار إعلامى. إنه كذلك، وأكثر. فالرؤية فى هذا الحوار غالبة على الرأى، والنظر إلى المستقبل غالب على تحليل ما هو حاصل فى الواقع الراهن.***

***قدم الأستاذ فى هذا الحوار رؤية جديدة لأوضاع العالم الآن، مقارنة بما كانت عليه قبل ٥٠ عاما، حين رأى ضرورة إصدار مجلة "السياسة الدولية". وحظيت السياسة الخارجية المصرية، والتحديات التى تواجه عملية إعادة بنائها وتفعيلها، بعد أربعة عقود كاملة تقريبا من التخبط والركود، باهتمام خاص.***

***كما شغلت أوضاع المنطقة المفتوحة على مزيد من الاضطراب والصراع مساحة كبير فى هذا الحوار، الذى كان طبيعيا أن يروى فيه الأستاذ قصة إصدار "السياسة الدولية" فى لحظة لم يعرف فيها العالم العربى كله هذا النوع من المطبوعات الدورية شبه الأكاديمية. وكان ضروريا أن نسأله فى هذا السياق عن مشروعه المعرفى والتنويرى الذى شرع فيه منذ أن تولى رئاسة تحرير جريدة "الأهرام"، وظروف انتقاله إليها ليجعلها أكبر مؤسسة صحفية فى العالم العربى.***

**كانت "السياسة الدولية" هى المطبوعة الأولى من نوعها فى العالم العربى كله، كما كانت تلك هى المرة الأولى التى تصدر فيها مؤسسة صحفية عربية مجلة أكاديمية دورية .. فكيف فكرت فى إصدارها؟**

**هيكل**: لم يكن فى العالم العربى عام ١٩٦٥ مجلة دورية، ومراكز تفكير مهتمة بالعلاقات والقضايا الدولية. وكانت فكرة تأسيس مجلة "السياسة الدولية"، وكذلك مركز الدراسات، جديدة فى ذلك الوقت.

**فكرت فى إصدار "السياسة الدولية" فى لحظة رأيت فيها ضرورة استشراف ما هو أبعد من المرئى فى العالم، واقترحت على بشارة تقلا أن يتولى د. بطرس غالى رئاسة تحريرها، وكنت أثق به وأقدره، رغم اختلافنا فى أمور كثيرة**

وكان نموذج "فورين أفيرز" ماثلا أمامى، ورأيت وقتها أن هناك ضرورة لاستشراف ما هو أبعد عن المرئى على الساحة الدولية. ولذلك، وبعد أن ذهبت إلى "الأهرام" مع السيد بشارة تقلا، وكان لديه مشروع بإصدار مجلة الأهرام الاقتصادى، بإشراف الدكتور بطرس غالى، وكانت فكرة مجلة لـ "السياسة الدولية" فى الوقت نفسه تلح على، واقترحت على بشارة تقلا أن يتولى د. بطرس غالى رئاسة تحريرها. وكنت أثق به وأقدره، رغم اختلافنا فى أمور كثيرة.

وكنت حريصا على أن يقوم الأهرام بدور معرفى وتنويرى، وأن تكون له مطبوعاته ومنابره التى تسهم إلى جانب الصحيفة اليومية فى هذا المجال، وأن تكون هذه المطبوعات متنوعة. ولذلك، أصدرنا مجلة "الطليعة" أيضا فى ذلك الوقت. وجاء إنشاء مركز الدراسات فى هذا الإطار، حيث بدأ بوحدة للدراسات الفلسطينية والصهيونية. وبعدها، أنشأنا وحدة التاريخ المصرى المعاصر من قسمين، الأول بدأ يؤرخ الفترة من عام ١٩١٩ بافتراض أنه كان بداية مرحلة جديدة، وكلفت حسن يوسف باشا بإدارة هذا القسم، لأنه كان ملما بالعصر الملكى. أما القسم الأخير من وحدة التاريخ المصرى بالمركز، فبدأ بعام ١٩٤٥، وتولى مسئوليته الدكتور محمد أنيس. وتتالت بعد ذلك الوحدات، فتم افتتاح وحدة خاصة للشئون العسكرية حتى تطور المركز، وأخذ شكله الحالى.

**كيف رأيت الأعداد الأولى من "السياسة الدولية" من حيث المحتوى، خاصة أنك متابع جيد لمجلة "فورين أفيرز"؟**

**هيكل**: كانت هناك مرحلتان، الأولى كانت بمنزلة مرحلة "تجريب". فالفكرة كانت حديثة وقتها، والكتاب والباحثون الأكاديميون كانوا يكتبون دراسات طويلة، بينما المجلة كانت فى حاجة إلى موضوعات متوسطة الحجم، وتصلح لدورية تباع للقارئ.

أما المرحلة الأخيرة التى يمكن أن نسميها مرحلة "الانتشار"، فقد بدأت ضعيفة فى ظل الاهتمامات العامة فى البلد فى هذا الوقت. فتجربتى فى " الأهرام " علمتنى أن هناك ثلاثة أهداف رئيسية فى المهنة (الصحافة) وهى: الإخبار، والتعليم، والترفيه، والجزء الأصعب جدا من هذه الأهداف هو التعليم الذى كانت تقوم به "السياسة الدولية" أكثر من أى مطبوعة أخرى.

وأتذكر أننا منذ عام ٧١، كنا نفكر فى التحضير للاحتفال بالعيد المئوى للأهرام فى عام ١٩٧٥، ونفكر أيضا فيما بعد الحرب، فأسسنا لجنة يرأسها الدكتور محمود فوزى (نائب رئيس الجمهورية، وزير الخارجية الأشهر)، ومن أعضائها بطرس غالى، وتوفيق الحكيم، وأحمد بهاء الدين، وعبدالملك عودة، وسماها فوزى "مهمة التعمير الحضارى". وبدأنا نفكر فى كتابة تاريخ مصر الذى لم يُكتب بعد، على الرغم من أن العديد من ظواهره يجرى بحثه فى الخارج. وكان من أحلامى آنذاك أن نقوم بإرسال بعثات من دارسى الدكتوراه إلى الأماكن التى لنا بها صلة فى التاريخ الحضارى لعصر النهضة. وبالفعل، رتبنا لإرسال بعثات إلى جنوا، وفينيسيا، وفلورنسا. ففى هذا المناخ الذى كنا نفكر فيه بإعداد دراسات جادة عن التعمير والتنوير، صدرت مجلة "السياسة الدولية".

**هل ترى أن "السياسة الدولية" كانت تخدم "أجندة" النظام السياسى، أم أنها كانت تتجاوز ذلك لتعكس "أجندة" المجتمع ككل؟**

**هيكل**: لا، لم تكن "السياسة الدولية" ولا مؤسسة "الأهرام" عامة تتبع "أجندة" النظام السياسى بخلاف ما كان شائعا فى هذا الوقت، ولكن ربما ظهرت هذه الفكرة بالضرورة فى فترة ما بعد حرب سنة ١٩٦٧ فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، حيث كانت هناك وحدة صغيرة جدا تقوم بعمل تقرير يومى عن الأولويات فى ظروف الحرب، وإرسال نسخة منه كل يوم إلى الرئيس جمال عبد الناصر، يحملها إليه الأستاذ حاتم صادق، وهو زوج هدى عبدالناصر، وكان هو بدوره يناقشنى فيه. لكن عندما تولى السادات رئاسة الدولة، توقفت هذه التقارير، لأنه لم يكن يحب القراءة، وكان يرى أن عبد الناصر مات تحت ثقل الورق الذى كان يطلع عليه.

وأتذكر أننى كنت فى القناطر ذات مرة مع الرئيس السادات على ظهر الذهبية "ستار" الراسية إلى جوار استراحة الرئيس، وجاء سكرتيره فوزى عبد الحافظ يحمل بعض الملفات. وعندما رآه السادات، قال له: "ارجع، دول عاوزين يموتونى تحت الورق اللى مات تحته جمال"، فأوقفنا هذه التقارير.

**بمناسبة الإشارة للرئيس جمال عبدالناصر، هل هو من طالبكم بإنشاء مجلة " السياسة الدولية"؟**

**هيكل**: هذا لم يحدث حقيقة، ولكن عبد الناصر كان مهتما بـ "الأهرام"، وكان حلمه بعد أن يترك رئاسة الجمهورية -كان يتصور ذلك- أن يعمل كرئيس تحرير "الأهرام". وهناك ثلاث صور موجودة فى مكتبى، الأولى وأنا أجلس على مكتبى فى "الأهرام"، وصورة أخرى لعبدالناصر وهو يجلس مكانى على الكرسى، والثالثة والأخيرة للسادات على كرسى رئيس تحرير "الأهرام". وكان عبدالناصر يهوى الكتابة، ومهتما بالصحافة. وأود أن أشير إلى أنه لم يفتتح مبنى "الأهرام" الذى أقمناه عام ١٩٦٨، وإنما زاره مدعوا من هيئة تحريره، بعد أن سمع عنه من زوار له، حدثوه عما رأوا، وهكذا كان هو الذى تفضل وطلب زيارة "الأهرام"، وسعدنا بزيارته. ولعلى أضيف هنا أن مشروع "الأهرام" الجديد لم يأخذ مليما من الدولة، وقد حقق ما حقق بموارده. وحتى العملة الصعبة التى احتاج إليها فى ذلك الوقت، وفرتها مبيعات مطبوعاته فى العالم العربى والعالم الخارجى. وكانت "الأهرام" من كبار دافعى الضرائب، لأنها كانت تحقق أرباحا ضخمة فى تلك الفترة.

**العالم العربى هو القاعدة الأساسية لعلاقات مصر الدولية، ولكن أزماته المتعددة قد تطول إلى أمد بعيد، لأن البؤر متوترة، والجراح مفتوحة**

**معظم الشباب، بل أغلب المصريين لا يتذكرون ظروف انتقالك إلى "الأهرام"، والذى كان بداية تحوله من صحيفة إلى مؤسسة كبرى حملت مشروعا معرفيا تنويريا؟**

**هيكل**: بدأت مشوارى المهنى فى جريدة الـ "إيجيبشيان جازيت"، ثم شاركت مع مراسل الجريدة مساعدا له فى تغطية معركة العلمين، ومعركة تحرير فرنسا، وعملت لفترة فى مجلة "آخر ساعة"، ثم انتقلت بعدها لـ "أخبار اليوم"، وكنت سعيدا بتجربتى فيها، وفيها قمت بتغطية أحداث الحرب الأهلية فى إيران وكوريا، حيث كان على أمين مديرا متميزا.

وعندما ذهبت إلى "الأهرام"، مكثت فى مكتبى شهرا لدراسة الوضع، وكانت المفاجأة أنه لا أحد من أصحابها يقرأ العربية، فقد كتبت تقريرى الأول باللغة الإنجليزية. ووقتها، كانت "الأهرام" توزع ٦٨ ألف نسخة، وتخسر منذ عشر سنوات سابقة على رئاستى لتحريرها. وقالت لى مدام تقلا - حين قابلتها فى أول مرة- إن الأسرة ضاقت ذرعا بخسائر الأهرام، وإنها فكرت جديا فى الهجرة إلى لبنان، وهى ستسافر، لأنها ورثت حصة عائلتها فى بنك تجارى فى بيروت، ولديها ثلاثة طلبات: الأول أنها لا تريد أن تخسر أموالها، فوافقت. والثانى أن تقوم "الأهرام" بدفع قيمة زياراتها للأوبرا، فقلت لها لا أستطيع، لأن هذا فيه خلط للخاص بالعام. والطلب الأخير أن زوجها كانت له شقة فى باريس باسم "الأهرام" كمراسل، وهى تريد تسجيل هذه الشقة باسمها، فوافقت، وانتهى الأمر.

**نريد أن نلقى نظرة مقارنة على وضع العالم عند صدور مجلة "السياسة الدولية" عام ١٩٦٥، مقارنة بالوضع الحالى، وكيف ترى التغير بين هاتين الفترتين، بعد مرور نصف قرن؟، ونود أن نذكرك ببعض العناوين التى تصدرت أغلفة المجلة فى عدديها الأول والثانى، والتى تعبر عن الاتجاهات السائدة فى المجتمع الدولى آنذاك: فقد تناولت المجلة فى عددها الأول مثلا أزمة فيتنام والسلام العالمى، ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية وعلاقته بعدم الانحياز، والقنبلة الذرية الصينية وآثارها الدولية، ورياح الثورة فى البحر الكاريبى. وفى عددها الثانى، تناولت السياسة السوفيتية والدول الأفرو-آسيوية، والحزب الشيوعى فى الصين الشعبية، والجامعة العربية، والطيران المدنى، والصحراء، والاشتراكية الإفريقية.**

**روسيا قوة لا يستهان بها، مرت بمرحلة ضعف وهوان لم تؤثر فى تفوقها العسكرى والفضائى، وهى تملك إمكانيات كبيرة. وأهمية دوربوتين أنه أعطاها عمودا فقريا، لكى تبرز وتوظف هذه الإمكانات**

**هيكل**: لابد أن نعرف أن الصحافة جزء من العالم السياسى، أو، بمعنى آخر، هى مرآة للاهتمامات السياسية لبلد ما فى فترة زمنية من تاريخها، لذا كانت مجلة " السياسة الدولية " سابقة فى مجال اهتمامها فى هذا الوقت، ومتماشية فى هذا مع السياسة المصرية. لكن ما حدث الآن لـ "السياسة الدولية" و"الأهرام" هو أنه بمقدار ما انكمشت السياسة، انكمشت الصحافة. فى أحيان كثيرة، يتصور الناس أن المؤسسات مستقلة عن السياسة، لكن الحقيقة أننا فى هذه المهنة (الصحافة) أقرب مما يمكن تصوره إلى سياسة البلد، والحكم، والاتجاهات السائدة فيه. فنحن أثرنا بشكل أو بآخر. ولكن ما إن تنكمش السياسة، ينكمش كل شىء آخر.

وكانت "السياسة الدولية" فى بدايتها مهتمة بالعالم الإفريقى والآسيوى، ومواكبة لعصرها، وفاعلة فيه، لأن مصر كانت فاعلة وقتها فى قلب حركات التحرر، والعالم الثالث، ومنظمة الأمم المتحدة. ولا أبالغ حين أقول إن مجموعة الدول الآسيوية والإفريقية سيطرت فى ذلك الوقت على منظومة الأمم المتحدة حتى انصرفت الدول الكبرى عنها لتدبير أمورها فى مكان آخر. ومجلة " السياسة الدولية " هنا كانت تعبيرا ومرآة عكست ذلك التحرك.

**كيف ترى، إذن، العلاقة بين تطور الوضع السياسى فى مصر وما حدث فى الصحافة عموما، و"الأهرام" بصفة خاصة؟**

**هيكل**: لم تشهد "الأهرام" منذ تأسيسها وحتى تركتها (نحو مئة عام) سوى أربعة رؤساء تحرير، وتوالى عليها بعد ذلك أكثر من عشرة رؤساء تحرير فى ٤٠ عاما. وبالتالى، فالمؤسسة تعرضت لظروف صعبة. وقد كنت أقول دائما إن "أخبار اليوم"، بعد "آل أمين"، تعاقبت عليها الدول مثل أوروبا الشرقية. وفى مرحلة من المراحل، أصبحت "الأهرام" مثلها، مما أدى إلى تراكم مشاكلها. فعندما تركت "الأهرام" عام ١٩٧٩، كانت بها احتياطيات بالملايين من النقد الأجنبى والمصرى. وبسبب اكتساحنا السوق فى بيروت، طلبت نقابة الصحفيين هناك عدم توزيع "الأهرام" فيها قبل الساعة الخامسة صباحا، لكن المشاكل تراكمت بعد ذلك.

**فى الوقت الذى صدرت فيه "السياسة الدولية"، كان هناك هيكل للنظام العالمى، ومصر كان لديها اتجاه واضح فى التعامل مع القوى الدولية الرئيسية، والآن هناك هيكل آخر ينطوى على تغير فى القوى الموجودة على قمة النظام العالمى، ومصر خارج هذا كله منذ ثلاثين عاما، واليوم تحاول أن تجد مكانا لها .. كيف ترى حركة مصر الخارجية لإيجاد موقع جديد لها؟**

**هيكل**: أرى أن ما نحن فيه الآن ما هو إلا محاولة من النظام الجديد لتقديم نفسه للعالم الخارجى. وحتى نكون واضحين، لا يستطيع طرف أن يجازف ويخرج للعالم الخارجى، ويكون طرفا فيه، إن لم تكن قاعدته الوطنية الداخلية مستقرة.

**السياسة الدولية: إلى أن يكتمل البناء الوطنى فى وقت لا نستطيع تحديده، وبكيفية لا نعرفها، كيف تتعامل مصر مع هذا الوضع المضطرب دوليا وإقليميا؟**

**هيكل**: عندما يذهب أى أحد لأى بلد، فأول سؤال يتعرض له: من أنت؟، ومن تمثل؟ ففى اللحظة الراهنة، لا أعتقد أننا طرف فاعل. فلابد أن تكون القاعدة الداخلية قادرة على تحمل تحركات الدولة الخارجية، وبالتالى لا تقل لى إننا قادرون فى هذه اللحظة على لعب دور فى السياسة الدولية. لذا، لابد من تقوية الأوضاع الداخلية، وأن تكون قاعدة علاقتنا بالعالم الخارجى هى العالم العربى. ولا تنس أن إحدى مشاكل مصر الداخلية هى أن موقعها يفرض عليها إما أن تتدخل، أو أن يتدخل الآخرون فى شئونها. ولذلك، نحن مضطرون للقيام بدور. ولكن لتفعيل هذا الدور، لابد أن نستكمل بناءنا الداخلى ونقويه.

**فى بداية نشأة الدولة المصرية الحديثة، بعد الحملة الفرنسية، كان مجال العمل السياسى وممارسة النفوذ المصرى ينطلق من المنطقة العربية وإفريقيا، لكن البناء المعرفى والثقافى المصرى كان مرتبطا بمرحلة التنوير والحداثة فى أوروبا، من خلال البعثات التى كان يتم إرسالها إلى الخارج. وهناك من يرى أنه منذ الستينيات، تم استغلال جزء كبير جدا من الحداثة، التى راكمتها مصر، منذ القرن التاسع عشر، فى علاقتها مع المشرق العربى بشكل أساسى لدرجة أننا لم نعد نستطيع أن ننتج قوة ناعمة جديدة وحقيقية .. فما رأيك؟**

**هيكل**: أنا أختلف تماما مع هذا الرأى، لأن كل قوة مصر الناعمة نشأت بالأساس من خلال التفاعل مع المشرق، ودائما ما أضاف المشرق إلى مصر كما أخذ منها. فنحن استقدمنا الكثير جدا من المشرق فى حركة التنوير الأولى، من خلال الجرائد، وحركة التنوير الثانية، من خلال العلم، وسياسيا بالمد الموجود. ومن الجدير بالذكر أن استثماراتنا كلها كانت فى المشرق، وكانت أعظم استثمارات فى تاريخنا.

**أسعار البترول ستؤثر بصورة جوهرية فى موازين القوى الإقليمية. والدول التى استطاعت تعظيم أدوارها فى صراعات المنطقة اعتمادا على هذا المورد قد تتأثر بانخفاض أسعاره. ولذلك، ينبغى إعطاء أهمية خاصة لبحث التطورات المحتملة فى سوق البترول، والتداعيات المترتبة عليها**

**فى الوقت الذى أصبحت فيه قدرتنا على التأثير محدودة أو غائبة، نجد أن قابليتنا للتأثر بالأخطار الموجودة فى المنطقة كبيرة، وكرة اللهب تتدحرج فى المنطقة من بلد لآخر، كيف ترى الحروب الدائرة حاليا فى المنطقة؟، وكم ستستغرق من وجهة نظرك؟**

**هيكل**: من المهم جدا الحديث عن المستقبل، وليس الماضى، وأكثر ما أخاف منه فى اللحظة الراهنة -رغم تعدد المخاوف- هو أن تكون الأمور قد خرجت من أيدى أصحابها، وأصبح اللاعبون الأساسيون فى المنطقة إما قوى أجنبية، أو قوى إقليمية. والسؤال المخيف فعلا هو: إلى أى مدى ستستمر صراعاتنا فى المنطقة على هذا النحو؟ والطارئ الجديد المهم هو الانخفاض المستمر فى أسعار البترول، والذى يؤثر بشكل كبير فى الصراع الدائر فى المنطقة، لأن الدول التى استطاعت أن تكون طرفا فى الصراعات الموجودة فى الشرق الأوسط لن تستطيع استكمال هذا الدور بدون البترول، ولذلك ينبغى أن نهتم ببحث هذا القطاع، والتداعيات المترتبة عليه، وبالتالى الخطر كبير، لأن جميع الجبهات أصبحت مفتوحة. وهناك أطراف خارجية تعمل فيها كما تشاء، وبعض العرب كانوا موجودين فيها كطرف أساسى بقوة تأثير المال فقط، ومصر موجودة كطرف أساسى بحكم تاريخها، وموقعها، وباقى النظم العربية غير موجودة. فالعراق وسوريا فى لهب العاصفة، والجزائر مقبلة على مشاكل. وبالتالى، فنحن أمام جراح مفتوحة، وبؤر متوترة، ووجود عربى ضعيف قد يتراجع أو يتأثر جدا فى المستقبل القريب نتيجة انخفاض دخل الممولين الرئيسيين والمؤثرين فى حل مشاكل المنطقة، جراء تراجع أسعار البترول، وهنا ستكون المشكلة كبيرة جدا.

**ما هو المسار المحتمل خلال السنوات القادمة فى ظل تقسيم فعلى غير رسمى بدأ فى سوريا، والعراق، وليبيا، ويمتد لبلاد عربية أخرى؟**

**هيكل**: لا يوجد أحد لديه تصور لإنهاء الأزمة، ومن الصعب جدا حل الصراعات الموجودة، ولا يوجد طرف عربى يستطيع أن يقدم نفسه بمبادرة جديدة وفعالة. أما الوضع الراهن، فقد يطول إلى مالا نهاية، وهناك أطراف أخرى تعمل على هذا، ومواردها من النفط تساعدها على لعب هذا الدور. فعلى سبيل المثال، استطاع "داعش" أن يخلق موارده من خلال استيلائه على مساحات من الأراضى، وموارد البترول فيها. وبالتالى، فنحن أمام متغيرات كبيرة جدا، ولا نستطيع، بل لا نملك وسيلة بشكل أو بآخر لإدارتها، أو المشاركة فى إدارتها، خصوصا عندما نفقد العنصر المالى، وأخشى أن نكون دخلنا متاهات لا نعرف حتى الآن مخارج منها.

**ما يمثله "داعش" من ظاهرة لا تقتصر عليه بطبيعة الحال، فما هى آفاق مواجهته، وجدواها؟، وهل ترى استراتيجية لهذه المواجهة؟**

**هيكل**: عندما نتحدث عن استراتيجية، فلابد أن تكون هناك قوى لديها موارد، ولذلك لا نستطيع أن نتحدث عن استراتيجية. فهناك حرب لسنا طرفا فيها، لكننا بمنزلة أدوات لها، وأخاف أن يقل النصيب الذى كنا نشارك به فى إدارة أزمات المنطقة.

فإذا نظرنا لمشاكل المنطقة، وأولاها الأزمة السورية، فإننى أتساءل: كيف تحل هذه الأزمة، خاصة أننا قصرنا إلى أبعد الحدود؟ لكن هناك مؤشرات يمكن استنباطها من المشهد السورى، وهى: نظام استطاع أن يصمد إلى اللحظة التى نحن بصددها، ودولة لا تزال تسيطر على جزء كبير من أراضيها، وجيش لايزال يقاتل، رغم كل ما حدث، ومعارضة حقيقية سياسية، لكن من عسكر هذه المعارضة بعض العرب بالأساس. فعندما عقد اجتماع الجامعة العربية فى عهد المجلس العسكرى، حاولت السعودية الضغط على الجامعة لتحتل المعارضة مقعد سوريا، وكانت التعليمات لرئيس الوفد المصرى، حتى الصباح، ألا تترك الحكومة السورية مقعدها، لأن سوريا بالنسبة لمصر قضية مهمة جدا. ولكن ضغوط بعض الدول العربية فرضت إقصاء سوريا عن مقعدها بالجامعة العربية، ولم تعترض مصر على ذلك، رغم أنها كانت ترى إبقاء الوضع كما كان.

**لا تستطيع مصر أن تقوم بدور فعال فى العالم بدون قاعدة داخلية قوية ومتماسكة، وموقعها يفرض عليها إما أن تقوم بهذا الدور بما ينطوى عليه من تدخل، أو أن يتدخل آخرون فى شئونها**

أما بالنسبة للدور المصرى فى العراق، فقد ضاع منذ تحرير الكويت. لقد كنت من المؤيدين لضرورة تحرير الكويت، ولكن بطريقة أخرى مختلفة عن التحالف الأمريكى. غير أن الدولة سارت فى هذا الطريق، وقايضت الدور المصرى فى العراق بتسوية كبيرة قدرت بـ ٣٠ مليار دولار، هى الديون المستحقة عليها.

وبالتالى، فإن الحديث عن الاستراتيجية لا يزال مبكرا جدا، فالمنطقة مفتوحة، وصراعاتها مفتوحة، وإسرائيل سعيدة من جهة، والولايات المتحدة تتدخل من جهة أخرى، ولا يعلم أحد مطلقا كيف تنتهى هذه اللعبة، ومتى تنتهى، وبأى سيناريو، ومن قبل أى طرف، وليست لدينا وسائل، أو وجود، أو أى نوع من التأثير، أو المشاركة.

**إذا تخيلنا نجاح "داعش" فى تثبيت ركائزه فى المناطق التى سيطر عليها أو معظمها، فهل يؤثر ذلك فى إيران؟**

**هيكل**: إيران بلد مختلف تماما، ولديه مقومات كبرى، وموارد غير البترول، وبالتالى قد يدخل مرحلة من التأقلم مع انخفاض أسعار البترول. كما أن الثقافة الإيرانية لم ولن تنقطع، فإيران قبلت الإسلام، لكنها لم تقبل اللغة العربية. وهناك ما يعرف بالحضارة الفارسية، لكن ليس هناك ما يسمى بالحضارة العربية المستقلة عن الحضارة الإسلامية. كما أن بيزنطة، ومصر، وفارس، ثم الأندلس هى التى صنعت الحضارة الإسلامية. وبالتالى، فإيران طرف أصيل فى المنطقة، لأن الكتلة الإيرانية ظلت متماسكة إنسانيا وحضاريا.

**ما الذى يحول دون تطور العلاقات المصرية - الإيرانية؟، وما الذى يقيدها فى هذا المجال؟، وتحديدا هل القيد خليجى أم داخلى أمنى؟**

**هيكل**: نحن نتحدث عن بلد حضارته لم تنكسر، وكانت مشكلة الرئيس السادات إعجابه بالملوك (الملك حسن، والملك فيصل، وشاه إيران)، وكلهم كانوا ينصحونه بإيقاف المعارك، حتى لا يجد نفسه أمام مطالب لا يستطيع مواجهتها. وعندما قابلت الخمينى فى باريس، سألنى حول موقف الأزهر الغاضب منه، خاصة أن الشيخ عبدالحليم محمود - شيخ الأزهر آنذاك- أصدر فتوى معادية للخمينى لخروجه على طاعة ولى الأمر. ولذلك، تراكمت أسباب شخصية فوق أسباب سياسية، بالإضافة إلى الضغوط الخارجية، لتعرقل العلاقات بين مصر وإيران. وأخشى أن أقول إن العنصر الأمنى دخلت فيه حسابات كثيرة، وأدخلنا فى مؤامرات لا لزوم لها. فنحن لم نمد يدنا تماما لإيران، مع أنه لا يمكن إهمالها بهذه الطريقة. ولا أقول إنه لابد من تحول جذرى الآن، ولكن علينا أن نتحسس الطريق.

**كان من أحلام عبدالناصر أن يرأس تحرير "الأهرام" بعد أن يترك رئاسة الجمهورية**

**مرت العلاقات المصرية - الأمريكية بعدد من التقلبات منذ الخمسينيات إلى الآن .. فى أى مرحلة نحن فى هذا الوقت من وجهة نظرك؟**

**هيكل**: لسنا فى مرحلة تشبه أيا من المراحل من السابقة، فكلها أصبحت ذكريات. لقد أدينا مهمتنا بالنسبة للسياسة الأمريكية، ولم يعد لدينا ما نعطيه فى الظروف الراهنة. وعندما نستعيد قوتنا الداخلية والإقليمية، سوف تأتى لنا أمريكا.

**إذا انتقلنا إلى العلاقات المصرية - الروسية، ماذا تعنى روسيا أولا فى السياسة الدولية الآن؟**

**هيكل**: روسيا تعنى أشياء كثيرة جدا، على الأقل من ناحية السلاح. فقوة الدول تقاس بمقاييس معينة كالمساحة، والسكان، والموارد، وهناك عنصر آخر، هنا فى الحالة الروسية، هو القدرة النووية. فروسيا بلد كبير، ولديه موارد، وإمكانيات قوة كبيرة، وقد يمر بمرحلة ضعف، لكن يغطيها التفوق العسكرى والفضائى الذى لابد أن يُحسن استخدامه.

وينبغى الإشارة إلى الدور المهم الذى قام به الرئيس فلاديمير بوتين للخروج من التجربة المهينة جدا عند سقوط الاتحاد السوفيتى، حيث أعطى للدولة الروسية العمود الفقرى، بحيث تستطيع أن تبرز وتوظف إمكانياتها. وروسيا اليوم بمساحتها الكبيرة، وبنفوذ تاريخى، وقوة عسكرية، تغطى لحظات الضعف، وقوة علمية، لا يمكن إنكارها، تعد طرفا فاعلا جدا فى النظام الدولى، خصوصا إذا ما نظرنا إلى الصين والهند.

**أشعر بتفاؤل تاريخى، رغم العوامل الدافعة إلى التشاؤم السياسى. وعلى كل مهتم بالشأن الخارجى إدراك أن المهمة الأولى هى اكتشاف المحفزات والقدرات لبناء المستقبل. والبداية الحقيقية هى أن يستعيد الشعب المصرى الثقة فى نفسه، لأنها مورد أساسى للقوة لا يزال معطلا**

**هل يعيش النظام الدولى حاليا حالة من السيولة؟**

**هيكل**: أظن أننا نعيش حالة من السيولة يمكن تشبيهها بأننا أمام حالة حمل لخمسة أو ستة توائم، وبالتالى فكل الاحتمالات واردة، أى هذه التوائم أقوى؟، وأيها يولد أولا؟، وأيها يعيش؟، وأيها يموت؟، وهكذا. لذا، فنحن نشهد ولادة عالم جديد مختلف فى توزيع القوى.

**كيف ترى العلاقات المصرية - الروسية فى ضوء التغير فى المنطقة؟**

**هيكل**: علينا أن نتابع حركة التدافع التاريخى فى المنطقة، ولا نجازف بوضع نتائج، لأن النتائج لابد أن تكون بمنزلة تصور مفتوح، وليس مغلقا، لأنه ليس هناك أحد يملك هذا. وحتى فى السياسة الدولية، لا تُغلق الصفحات هكذا. فعلى سبيل المثال، فى الوقت الذى تفتح فيه روسيا لمصر حسابا جديدا، لا يزال هناك الحساب القديم الذى لم يسقط أو يُغلق. والجيد أننا نحاول، لكن لا تزال أوضاعنا الداخلية تضعف إمكانية أن نصبح طرفا قويا على المستوى الدولى فى اللحظة الراهنة. والروس دائما ما يقولون لنا "أنتم تعتبروننا العاشقة البديلة"، حيث يطاردنا باستمرار عدم الثبات، وما فعلناه مع الروس لا يمكن أن يُنسى، خاصة أننا ذهبنا لنطاردهم فى الصومال، وأنجولا، وأفغانستان. وهنا، أود أن أقول "كن أنت ولا تكن غيرك، يثق فيك الناس".

**هل كان من الواجب أن تعرف الصين "من نحن" قبل أن نذهب إليها؟**

**هيكل**: مبارك ذهب إلى الصين مرات عدة، وكأنه لم يذهب. فمن خلال اطلاعى على محاضر زياراتنا إلى الصين، وجدت أننا لا نتحدث إلا من خلال كليشيهات سئمها الجانب الآخر. وينبغى تغيير هذه النظرة الصينية، حتى لا يكون النشاط الراهن فى العلاقات مع بكين إعادة إنتاج لسابقه، ولكيلا تكون تداعياته إيجابية فى الداخل المصرى أكثر منها فى السياسة الدولية.

**كيف يمكن أن تكون هناك سياسة خارجية تتجاوز كل التجارب السابقة؟**

**هيكل**: هناك مقولة لهيجل تقول: "لدى تفاؤل تاريخى وتشاؤم سياسى". وأنا فى اللحظة الراهنة غير متفائل، ولكننى سأتفاءل، عندما يستطيع الرئيس عبدالفتاح السيسى إرساء قواعد نظام حقيقى، ويبدأ البلد فى تماسكه الداخلى. فإذا سارت الأمور بشكل معقول، فإننا نستطيع القول إننا نحتاج من ثلاث إلى خمس سنوات، لكى نمتلك قوة حقيقية.

**ألا يساعد وجود تصور أو رؤية للسياسة الخارجية فى تعويض بعض عوامل الضعف الداخلى؟**

**هيكل**: التصور يشبه مشروعا له بدايات جنينية، ومخاض، وولادة. وأنا أشفق على الباحثين فى هذه الفترة، لأن التغيرات التى حدثت تجعل من الصعب التفكير جديا فى تصور له قابلية للحياة، إلا أن يكون فى مقدورك أن ترى الأرض التى تذهب إليها. وعلى كل مهتم بالشأن العام، خاصة الشأن الخارجى، أن يدرك أن المهمة الأولى هى "الاكتشاف" للمحفزات والقدرات التى يمكن أن تتوافر عندك لبناء مستقبل معقول.

**بما أن مرحلة البناء الداخلى هى المتغير الأساسى لتحديد مكانتنا على الخريطة العالمية، ما هى المقومات التى تمتلكها مصر، ويمكن أن توظفها لاستعادة تماسكها الداخلى، وبناء قوتها؟**

**هيكل**: أظن أننا بصدد تكوين رؤية، فلدينا إمكانيات كبيرة جدا، سواء على المستوى المعنوى، أو الواقعى، وهى أكثر مما نتصور، وأكبر من أى حسابات. لكن هناك عنصرا غير مرئى، ينبغى أن تضعوه فى الحسبان كباحثى علوم سياسية، وهو أن هناك عدم ثقة لدى كل الأطراف. لذا، فإن أول خطوة فى البناء الداخلى هى استعادة ثقة الناس فى أنفسها. فنحن دخلنا عملية هدم لكل شىء، فلم تتبق لنا قيمة إلا وتم هدمها، وأصبح كل شىء لدينا مستباحا، فلا قيمة الوطنية محترمة، ولا قيمة القومية، وهكذا. ولعل السباب الحالى على الفضائيات أكبر دليل على هذا.

فالبداية الحقيقية أن يستعيد الشعب الثقة بنفسه، لأن هذا مورد أساسى للقوة، ولا يزال معطلا، وينبغى العمل عليه، لكى تستطيع أن تمتلك الموارد التاريخية والحقيقية الموجودة لدى الشعب المصرى، ومن هنا ننتقل إلى استعمال الموارد المادية. ولدينا كمية موارد مادية ليس لها حدود، لكنها معطلة أيضا كالمصانع. ولدينا إمكانيات سياحية مثل البحر الأحمر لما يمثله من منطقة جذب سياحى ليس لها حدود، لأنه ليس لنا منافس عليه بخلاف البحر المتوسط، وبالتالى ينبغى استغلال كل سنتيمتر منه. ففكرة التنمية السياحية تعتمد أساسا على البحر الأحمر، وقد يكون ذلك من خلال إعادة تنظيم لمنطقته التى لها وضع خاص، وتعيين نائب رئيس وزراء للبحر الأحمر، وأنا لا أتصور ما يقال حاليا عن تقسيم البحر الأحمر بين المحافظات.

**إيران تملك مقومات كبيرة لا يستهان بها، وتتمتع بتماسك حضارى وانسانى، اجتمعت فيها عوامل سياسية، وشخصية، وأمنية، وعلينا أن نبدأ فى الانفتاح عليها**

**ما هى رؤيتك لمستقبل المراكز البحثية، ومصير الصحافة أو الإعلام المطبوع؟**

**هيكل**: أعتقد أن المراكز البحثية مهمة جدا لكونها كشافات للمستقبل، ونحن فى حاجة لهذه الكشافات، لأنها الوسيلة الوحيدة الموجودة للتفكير المنظم، حتى أصبح لا يوجد حزب محترم فى العالم إلا ولديه مركز بحثى خاص به. أما بالنسبة للصحافة المطبوعة، فمن الضرورى تحولها لتصبح إلكترونية، حيث أظهر تصويت -أجرته جريدة النيويورك تايمز- أن نسبة ٦٠٪ من محرريها يرون أنه لا مستقبل للصحافة المطبوعة، لذا لابد من التحول للنسخة الإلكترونية.

تصوير / هاشم أبو العمايم

وأنا أعتقد بشكل ما أن الصحافة المطبوعة ستستمر، ونتذكر أن علاقة القارئ بالصحيفة تمر بثلاث مراحل: جريدة تجذب قارئا، ثم قارئ يتعود على الجريدة، والجريدة فى النهاية تتحول إلى نوع من الإدمان. وهناك شواهد على استمرار الصحافة المطبوعة، منها أن توزيع صحف كبرى مثل "الإيكونومست"، و"الصنداى تايمز" يحقق زيادة سنوية بنسبة ١,٥٪ تقريبا. لكن أكبر مشكلة تواجه الصحف المطبوعة المصرية هى تعدد قراء النسخة الواحدة بمعدل ٦,٨ قارئ لكل نسخة. وعندما نستطيع أن نجعل كل من يقرأ الصحيفة يشتريها، سيختلف الأمر كثيرا. والصحف المصرية الحالية فى أزمة، لأنها خارج إطار المنافسة مع الوسائل الأخرى، لكنها ستخرج بشكل ما من هذه الأزمة، لكن لا أعرف كيف ومتى.

وأظن أن استمرار الصحف المطبوعة مرهون بقدرتها على الاتجاه للمستقبل، فلا يمكن أن نسبق الخبر نفسه، لكن علينا أن نستكمل الخبر، ونحلله، ونبحث عن خباياه. فالمستقبل هو أن نصل إلى حيث لا تستطيع الكاميرا أن تصل، وينبغى ألا يكون التحليل إنشائيا، بل ينبغى أن يكون إخباريا.

**كيف ترى مهمة "السياسة الدولية" فى الفترة القادمة؟**

**هيكل**: مهمتها الأولى هى اكتشاف الخيارات والبدائل، وطرح الاحتمالات، أى أن تكون كشافا للمستقبل.